معرفة الله

آية الله سيد جعفر سيدان [1]

الملخص: هذا المقال يتضمّن تقريراً عن وجهة نظر آية الله الشيخ مجتبى القزويني فى البحوث العقائديّة الّتي يأتي بها فى كتاب «بيان الفرقان» و يؤكد السيد جعفر سيدان على فطرة التوحيد و التباين بين الخالق و الخلق وهي أهمّ مؤشرات هذه الفكرة التوحيديّة.

كلمات مفتاحيّة: الشيخ مجتبى القزوينى؛ السيد جعفر سيدان؛ بيان الفرقان؛ التوحيد الفطرى؛ التباين بين الخالق و الخلق.

١. باحث و مدرس فى الحوزة العلمية.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-10-31]

تمهيد

آية الله الشيخ مجتبى القزويني من علماء خراسان، أمضى جلّ حياته فى البحث و التدريس و الحديث حول عقائد الشيعة. كتابه «بيان الفرقان» في خمس مجلّدات يعبّر فيه عن وجهات نظره. آية الله السيد جعفر سيّدان العالم الخراسانى المعاصر تتلمذ على يد المرحوم القزويني، قدّم تقريراً عن وجهات نظر استاذه حول معرفة الله، و نحن نقرأ المحاور الرئيسيّة لوجهة نظره التوحيديّة:

١. التّباين بين الخالق والخلق فى كافّة الجهات.

٢. عقيدة التوحيد فطرية و ليست نظريّة، و لها درجات ومراتب و لعبوديّة الانسان تأثير في هذه الدرجات.

٣. كلمات القرآن توحيديّة.

٤. للنبيّ و الامام المعصوم دور أساسيّ فى دعوة الناس إلى التوحيد.

٥. الانسان مختار في أفعاله، و هذه حقيقة مسلّمة، لا تتعارض مع عموميّة قدرة الله.

٦. أساس القرآن و العترة يتعارض مع أساس الفلسفة و العرفان فى بعض البحوث.

هناک تباين بين الخالق و الخلق، الخالق خالٍ من خلقه و الخلق خالٍ منه، و لا شبه بين الخالق و الخلق.

أسلوب الأنبياء فى معرفة الله تعالى التذكير و تنبيه الخلق إلى الخالق المعروف بفطرتهم. الله الذى يدعوه الانسان فى المصائب و البلايا، و على الانبياء أن يذكّروا الانسان به، و قد يستخدمون الحجج لاثبات هذا التنبّه.

للتذكّير بالمعروف الفطرى درجات و مراتب، أوّلها، يتحقّق بفعل الله و يحصل الانسان على المعرفة التفصيلية بالتّدبّر بالآيات و تعاليم الأنبياء و الأئمة لترک المعاصى والوصول الى الدرجات العليا للمعرفة.

عندما يتمّ التّعبير عن المعرفة الفطرية فى الروايات بالشهود و الوجدان و الوصول، ليس معناه ما يريده العرفاء و الفلاسفة من هذه التعابير قطعاً. لأنّ معرفة الله و إثبات الصانع مقولتان متباينتان بالنسبة إليهما، و معرفة الله يربو على الإثبات و الاقرار بالله.

مظهرية إرادة الانسان و اختياره بالنسبة إلى إرادة الله و اختياره و بشكل عامّ، مظهرية كمالات الانسان بالنسبة الى كمالات الله تعالى بمعنى أنّه علامة وآية لكمالات الله، و ليس بمعنى أنّه نموذج

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-10-31]

من كمالات الله فی مرتبة ضعيفة.

الاعتقاد الی تجرّد العلم عن المكان يختلف بالنسبة الی عدم مخلوقيّة العلم، و هذان لا يتلازمان.

لا مسانخة بين الخالق و الخلق، و الخلق يتباين بتمام ذاته و جوهره عن ذات الله تعالی، و الخالق خلو من الخلق، و الخلق خلو من الخالق، و هناک تباين تامّ بين الخالق و الخلق. ليس من جوهريّة الله فی الخلق و لا من جوهرية الخلق فی الله شیء. فی حيطة مدركات الانسان، لا يكون شبيه و لا نظير لله، فلذلک، العلاقة اليه أمراً ميسوراً للانسان، بل معرفة الله من قبل الانسان غير عقلانيّ و لا معنی لها. علی هذا نعتقد أنّ معرفة الله تعالی امرٌ فطريٌّ و أفيضت هذه المعرفة من قبل الله الی الانسان، و تمتّع البشر من معرفة الله بتعريف الله و بالإفاضة الالهيّة. و لا يولد مولود الّا بمعرفة الله، لكن يغفل عمّا له فی هذه الدنيا و ينساه.

إنّما يتنبّه الانسان فی حياته المعرفيّة أمام دعوة الانبياء و لا يكتسب المعرفة بالله بالعقل النظری و إقامة الحجّة، و لا تكتسب معرفة الله بالبراهين الاصطلاحيّة و إقامة الحجج الفلسفيّة. إنّما يستخدم البرهان و الحجّة فی النصوص الدينيّة لتذكير الذين أغفلوا عن معرفتهم الفطريّة و لا يخضعون أمامه تعنّتاً.

بعبارة أخری؛ لا تكون البراهين و الحجج فی النصوص الدينيّة الّا تذكيراً و تنبيهاً، حيث أنّ المعبود المعروف المفطور للانسان حقيقة و هو دون المعبود الموهوم للاذهان و الافكار. فلذا، لا يمكن الحصول علی معرفة الله من طريق الحجّة و البرهان.

يتعارض قول الفلاسفة و العرفاء، اعني أنّ معرفة الله بحاجة الی برهان المعارف الوحيانی. لأنّ علی رأي المعارف القرآنيّة و اهل البيت:، ليست المعرفة و إثبات وجود الله بحاجة إلی النظر و الحجّة، بل معرفة الله امربديهيّ و يحصل للانسان بتعريف الله.

إعتمد المرحوم القزويني لإثبات مدّعاه الی الآيات العديدة و اعتمد عليها. هو يكتب بعد القول عن الخلاف بين طريق الفلاسفة و العرفاء و القرآن فی المعارف الالهيّة و النتائج المختلفة لهذه الطرق الثلاثة مجملاً:

بعد بيان الخلافات بين الطرق الثلاثة، نقول للمزيد فی الايضاح عن نتيجة المنهجين للفلسفة و العرفان متفهرساً، و سنقول نتيجة طريق الانبياء فی محلّه حتّی يتبيّن الخلاف جيّداً و يدرک المحصّلون، أنّ الفلسفة و العرفان معارضان للقرآن و بينهما البينونة:

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-10-31]

معرفة الله تعالى و إثبات وجوده، امر نظريّ يحتاج الى إقامة البرهان و منوط بالبحث و التحقيق فى العلّة و المعلول.

يذكر المرحوم القزويني فى البحوث الأخرى لهذا الكتاب، أنّ البراهين المقامة من قبل الفلاسفة عديدة و أفضل براهينهم و التى يستند اليها «ابن سينا» هى برهان الامكان و الوجوب.

هذا البرهان عقيم فى إثبات وجود الله، لأنّه معلّق على إبطال الدور و التسلسل، و البراهين المقامة لابطال الدور و التسلسل عميق و مضبوط و بعيد المنال لعامّة الناس. إنّما يمكن فهمه من قِبَل عدد قليل من العلماء و الباحثين، و لهذا لا يمكن ان نعتبر هذا البرهان طريقاً عامّاً للمعرفة و التوحيد.

يختلف طريق الانبياء عن طريق الفلاسفة و العرفاء، لأنّ الفلاسفة إستخدموا الحجّة فى أسلوبهم على سبيل الحصر، و يعتقدون أنّ طريق معرفة الله محصورة بالحجج العقليّة. حينما يسير الانبياء عادة فى مسار التذكير الى المعروف الفطرى للبشر، و يؤكّدون على تعلّق الروح بالله عزّوجلّ.

رواية الامام الصادق٧ فى هذا المجال، إجابة عن الذى كان يتحيّر من معرفة البارى عز وجل:

«هَلْ رَكِبْتَ سَفِينَةً قَطُّ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَهَلْ كُسِرَ بِكَ حَيْثُ لَا سَفِينَةَ تُنْجِيكَ، وَ لَا سِبَاحَةَ تُغْنِيكَ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَهَلْ تَعَلَّقَ قَلْبُكَ هُنَاكَ أَنَّ شَيْئاً مِنَ الْأَشْيَاءِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ وَرْطَتِكَ؟ قالَ: بَلَى. قَالَ الصَّادِقُ: فَذَلِكَ الشَّيْءُ هُوَ اللَّهُ الْقَادِرُ عَلَى الْإِنْجَاءِ حِينَ لَا مُنْجِيَ، وَ عَلَى الْإِغَاثَةِ حِينَ لَا مُغِيثَ»[1]

على هذا، ليس التعلّق بتلك الحقيقة المنجية على اساس إقامة الحجّة و ترتّب الصغرى و الكبرى و الاستنتاج. بل تلك نفس الحالة التى وضعها الله فى الانسان و يعبّر عنها بالفطرة. يعنى نظراً بما وضعها الله فى الانسان، توجد هذه الحالة دون أن يكون إقامة الحجّة. ولذلک فطريق الانبياء، التذكير، حيث تظهر تلک الحالة الفطرية.

مسار الانبياء عادة مفيدة للجميع بما فيهم العوامّ و الخواصّ و إنّه شائع، و فى نفس الوقت مسار إقامة الحجة و التمتّع عن البراهين فى الحالات الخاصّة محفوظة فى مكانه. كما أنّ أهل البيت: كانوا يسوقون المنكرين و الغافلين بالحجّة و التمهيد الى الهداية و الانتباه. فلذلک قام البشر بطريق

١. بحار الانوار / ٦٤ / ١٣٧.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-10-31]

الاحتجاج لمعرفة الله، لكن كان مسار الأنبياء التذكير بالفطرة نظراً، لأنّهم ما كانوا منكرون لطريق إقامة الحجّةً. فلذلک تبيّن اختلاف الطريقين. و قد تأكّد الاهتمام بالفطرة و حفظ منهج الاحتجاج.

درجات التذكير بالمعرفة الفطرية

حالة الفطرة لها اضاءة خاصّة، و لكن عندما نتعمّق فى الآيات وننظر الى إتقان الخلقة، فاننا ندرک عظمة الخالق. يقول الله تعالى:

«إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»[1]

فلذلک تشتدّ المعرفة الفطرية عندما نواجه آيات الخلقة و التدبّر فيها، كما تشتدّ تلک الفطرة فى حالة البأساء و الضراء و الدعاء، و تظهر حقيقة فطرية اكثر و تزول موانع ظهور الفطرة.

التفكر فى آيات الله ومعرفة الله على اساس الفطرة، يؤدّى بنا الى الاهتمام بآيات الله، وهذا دليل على إثبات تلک الفطرة. يقول الشيخ المجتبى القزويني:

من الواضح أنّ الفهم و العمل بطريق يتوافق مع فطرة البشر هو أسهل سبيلاً، فإنّ دين الاسلام، بل جميع الأديان السماوية (قبل حصول التحريف فيها) اعتبرت طريق المعرفة محصورة فى التذكير بالموجودات و التأمل و التدبر و التذكر بالفطرة. و قال: معرفة القادر المتعال يدلّ على فطرة البشر و من تأمّل قليلاً و رفع حجاب العصبيّة و الأوهام، يذعن بالله تعالى و يعترف أنّه مازالت معرفته تزداد بالابتعاد عن المعاصى و العبودية لله سبحانه.

هو ينبّه الى الابتعاد عن المعاصى، لأنّه إذا تنبّه الانسان وتوجّه الى الله، فان عقله سوف لا يسمح له أن يستكبر، بل ينبغى له أن يتّبع طريق الخضوع و الخشوع أمام الله سبحانه و مازال يسير فى مسار العبودية لله. إذن تزداد عناية الله به مع ازدياد عبودية الخلق له وبالتّالى، لا تعارض بين إقامة الحجّة بالفطرة وانّ إقامة الحجّة لا تستلزم انكار الفطرة. بل علينا أن ندرک أنّ الأساس فى اهتمام الانسان بالله تعالى، فطرته، لأنّ الله وضع فى فطرة الانسان الانتماء إلى نفسه. لكن حصر

١. آل عمران / ١٩١.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-10-31]

طريق المعرفة باقامة الحجّة و الغفلة عن المعرفة الفطريّة ليس صحيحاً.

حصر طريق معرفة الله بالمعرفة الفطرية و تأثير العبودية فيها

الفطرة أساس المعرفة و بناءها و الطرق الأخرى تتّبعها و تؤيدّها و تذكير إلى المعروف الفطري. هذه حقيقة مهمّة بأن يظهر التذكير بالمعروف الفطري ظهوراً أكثر، بترک المعصية و عبودية الله و وتصبح إقامة الحجّة أسهل وأكثر تأثيراً.

عندما يميل الانسان الى الرذائل الأخلاقيّة و المفاسد العمليّة، يجعل حاجزاً قويّاً امام الفطرة، و قد تمّ التأكيد على التزكية كثيراً. أتذكّر؛ كنت افكّر حيناً، وأتساءل ماذا يحدث عندما ينظر المرء العادى الى ورقة الشجرة و يرى خصائصها، فإنّه يسبّح الله تعالى و يتذكّر البارى عزّ وجلّ. لكن عندما يقوم المرء بالنظر من خلال العين و يرى المزيد من الإناقة والجمال و العلم اللانهائي.، فانّه لا يسبّح لله، لماذا ؟ نرى الردّ على هذا السؤال فى كلام لأمير المؤمنين على٧:

«إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَانِ؛ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَ طُولُ الْأَمَلِ. فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ»[1]

وهنا ندرک عواقب إتّباع هوى النفس، و إختفاء الحق، إنّ هوى النفس حاجز يقف حائلاً دون الاهتمام بالحقّ و بالتّالي يغفل الانسان عن الفطرة. فلذلک على الانسان أن يتزكّى من الهوى و الرذائل الأخلاقيّة حتّى يصل إلى المطلوب.

المعرفة الفطرية بمعنى الشهود و اختلافه مع الشهود العرفانى.

إنّ الأنبياء و الرسل و اوصيائهم اعتبروا طريق معرفة الله محصوراً بالتذكير بالآيات الالهيّة، وهى موجودات الآفاق و الانفس. و إنّ معرفة الله فطرية لجميع أبناء البشر. فلذلک لسنا بحاجة إلى برهان «إنّ» و «لم» الذى هو مبنى على إبطال الدّور و التسلسل. بل عندما يذكّروا الإنسان بفطرته و يجعلوه متذكّراً بها، يجد ربّه و التذكير فى هذه العبارة هو نفس الوجدان.

«فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا»[2]

«فَإِذا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ»[3]

---

١. نهج البلاغة، خطبة ٤٢.
٢. الروم / ٣٠.
٣. العنكبوت / ٦٥.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-10-31]

تتضّح المعرفة الفطريّة في أيّ اضطرار، و هذه الحالات موضع التذكير إلى الفطرة و تنبيه الانسان المغفول إلى نفسه و إلجاء الناس الى إعادة النظر في هذه الحالة و يريهم التّجلّى للمعرفة الفطريّة.

تذكّر الروايات و الآيات في هذه الحالات، حالة لا مجال لإقامة الحجّة فيها، بل فيها التّلقّى و وجدان الحق دون الاعتماد على إقامة الحجّة.

الفطرة في بعض الأحيان بمعنى الرغبة الباطنيّة و الجاذبيّة دون الاضطرار و القلق، و هذا المعنى والمفهوم يوجد فى علم النفس، و ظهرت آثار مختلفة فى ما يتعلّق بالرغبة و الجاذبيّة على شكل معبود ومعابد مختلفة بسبب الخطأ و الإعوجاج. من البديهي أنّ هذه الرغبة و الجاذبيّة ليس مبدأها الطبيعة، لأنّ الرغبة و الجاذبيّة هما رغبتان إلى الحقيقة التي ليست طبيعيّة و لا مادّية.

حجّية الفطرة، حجّية ذاتيّة، لأنّ الشهود و التلقّى، أمران باطنيان و ليس فوق الشهود، و التلقّى الباطني و الوجداني شيء آخر. و لا يمكن لإيجاد هذه الحالة فى الانسان وجود عامل طبيعي. لكن فى الظروف التى نواجه هذه الحالة، نقدر الدراسة و إعادة النظر فيها فتتبيّن الحقيقية الباطنيّة للإنسان و تظهر المعطيات الوجدانيّة.

الفطرة فى بعض الاوقات تعنى الفهم الاستدلاليّ الواضح، الذي له الوضوح والصراحة الخاصة. من تأمّل في تمهيدات ذلک الاستدلال، يفهم النتيجة و لا يبقى له أيّ شکّ. و ذلک من القضايا التى تصوّرها يسبّب تصديقها" قضايا قياساتها معها".

من الواضح أنّ معرفة الله فطرية، ولها ثلاثة معان، و توجد آيات تدلّ عليها. و هذه المعانى الثلاثة هى:

١. بمعنى الوجدان و التلقّي و الشهود، و هي من فعل القلب. و لا يعتمد فى هذا المعنى على ايّ استدلال، بل انّ هناک علاقة قلبيّة تنعقد بين الله و الانسان.

٢. الرغبة و الجاذبيّة إلى المعبود.

٣. القضايا الفطريّة الّتي تطرح فى علم المنطق (قضايا قياساتها معها)

يُسأل الاشخاص العقلاء و المنصفين: هل لايدركون المخلوقية و العجز وكذلک احتياجاتهم؟ وهل انّ ما يشاهدونه من آثار الفقر و الفاقة منشأه قدرة الخالق وعلمه؟ و هذا هو المعرفة الفطريّة. نعم! هذه المعرفة بحاجة إلى التذكير بها! لأنّ الغفلة و النسيان تقف حاجزاً أمام ظهور هذا الامر الفطري.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-10-31]

من وجهة نظر المرحوم الشيخ المجتبى القزويني، فان الإستدلال بالآيات والاهتمام الحاصل عنها، يذكّر الانسان إلى تلک المعرفة الفطريّة، و نحن نعتبر توجّه الانسان بالمخلوقية و العجز و حاجتها الى المعنى الثالث للفطرة. أيّ انّ الاستدلال بالآيات من جنس القضايا الفطريّة المطروحة فى المنطق.

فتعابير مثل الشهود والوجدان و التعلّق القلبى كلّها مأخوذة من القرآن و النصوص الروائيّة. و من جانب آخر تستخدم تعابير مماثلة فى الفلسفة. و قد تعتبر بعض الأحيان المعرفة الفطريّة من نوع العلم الحضوري على معنى الاصطلاحى الفلسفى، بينما أساس العلم الحضوري مبنى على القول بوحدة الوجود او اتّحاد وجود الله تعالى و الخلق، وهناک بين المعرفة الوجدانيّة و الشهوديّة و المعرفة الفطريّة المطروحة في الروايات و العلم الحضوري الاصطلاحي، بونٌ شاسع و كبير.

مع ذلک، بما أنّ لبعض التعابير اشتراک فى اللفظ، فعلينا أن نمعن النظر فى اختلاف معنى الوجدان و الشهود المذكور فى الروايات و العلم الحضوري المطروح فى الفلسفة و العرفان.

فتعبير التعلّق مأخوذ من الحديث، كما استعمل ذلک التعبير فى نفس رواية السفينة، و نحن استخدمنا ذلک إعتماداً على تلک الرواية. إنّ التعلّق يظهر العلاقة بين الروح و قلب الانسان و الحقّ المتعال و كيفيّة هذه العلاقة بحاجة إلى الايضاح.

هذه العلاقة ليست قابلة للوصف، و إنّما يمكن ان نقول؛ انّ الانسان يجد هذه العلاقة مع الله دون أن يقدر وصفها و تحديد حقيقتها.

النقطة الثانية أنّ هناک تعابير مماثلة لتعابير الروايات و ما يستخدم فى العرفان الاصطلاحي، و يمكن أن نقول حول هذا:

من الثوابت، أنّه لا مشابهة و لا مماثلة و لا اشتراک بين الله و خلقه. وكما جاء فى الروايات: «كُنْهُهُ تَفْرِيقٌ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ خَلْقِهِ» ، « مُبَايَنَتُهُ إِيَّاهُمْ مُفَارَقَتُهُ إِنِّيَّتَهُمْ» ، «تَنَزَّهَ عَنْ مُجانَسَةِ مَخْلُوقاتِهِ». [٢] و نظراً بأنّ البينونة بين الخالق و خلقه ليست مكانيّة و لا يمكن وصفها، نستطيع أن نقول: من المسلّمات فى هذه المدرسة، أن لا يوجد اشتراک بين الخالق و الخلق، حتى فى اطلاق كلمة الشيء عليهما. فلذلک فانه بعد اطلاق كلمة شيء على الله، يؤكّد على الفور؛ إنّ الله شيء لا كالاشياء،

١. عيون اخبار الرضا، صدوق ج ١ ص٢٣٤.
٢. كتاب التوحيد، صدوق ص ٣٥ – ٣٦.
٣. دعاء الصباح لاميرالمؤمنين٧؛ بحارالانوار ص ١٩، كتاب الدعاء.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-10-31]

أعني عندما يستخدم تعبير موهّم حول اشتراک الله و الخلق، يؤكّد على الفور إنتفاء الاشتراک و يصرّح به، الشهود و الوجدان الذي يستخدم فى الفلسفة و العرفان المصطلح ويعني فناء الخلق فى الخالق. و يقال على اساس قوس الصعود و النزول: يتنزّل شيء عن الله و بعد السير فى عوالم يرجع مرّة اخرى و يتّحد بذات الحق أو يعتبرون الخلق طوراً و رشحة و مرتبة من ذات الحق المتعال، و يعتقدون أنّ لجميع الكائنات مراتب ضعيفة للحق الذي لايتناهي.

والنتيجة انّه من البديهي، أنّ الوجدان و الشهود ليسا كما يرى الفلاسفة و العرفاء، لأنّ البحوث الفلسفيّة و العرفانيّة تقام على العينيّة و التطوّر، أو تبنى على اساس التشكيک و التنزّل، و كلاهما على رأي الفقهاء ينتهيان إلى الخراب. أي انّ التنزّل و التطوّر كلاهما باطلان، و ليست الوحدة الاطلاقيّة صحيحة و لا الوحدة التشكيكيّة. بل يثبّت القول بالبينونة، و ليس المراد من الشهود و الوجدان بالمعنى الاصطلاحي للفلسفة و العرفان، بل القصد منهما هو أنّ الانسان فى حالة البأساء و الضرّاء و الدعاء و التضرّع. و مع رفع الحواجز و الحجب يدرک الانسان ربّه، و يجد نفسه غير الله و الله مبايناً لنفسه. أيّ انّه لا يجد الوحدة بل يجد الازدواجيّة التي من جانبٍ هو العجز و النقص و الحاجة و التّبعيّة المطلقة، و في جانب آخر الغنى و الكمال المطلق.

الشخص الذى يُقبل على الله، يجده حاضراً و شاهداً. هذه الحالة ليست قابلة للوصف عند ظهور حالة الفطرة، يُذعن الانسان إلى ذاته المقدّسة إذعاناً شديداً و بأحسن وجه، و خوفه و رجائه و اعتماده على الله أمر حتمي، بينما يجد بينه و بين الله البينونة التّامّة. على هذا، هناک بون شاسع بين ما يطرح فى مدرسة المعارف بصفة الشهود و الوجدان و العلم الحضورى. يجب التعبير عن التعلق و الوصل والتعابير من هذا القبيل بالاعتماد على الأسس والجذر. قال الامام العسكرى٧: «اِنَّ الوُصُولَ اِلَي اللهِ عَزَّوَجَلَّ سَفَرٌ لا يُدرَكُ اِلّا بِامتطاءِ اللَّيلِ»[1]

لا يمكن أن يقال؛ إنّ الامام العسكرى قال بوحدة الوجود، لأنّه استخدم تعبير «الوصول» فى كلامه. نعوذ بالله. طرحت فى بعض الأحيان قضية معرفة الله تارة «اَللّهُمَّ عَرِّفْنِى نَفْسَكَ»[2] و قد اعتبر توحيد الله خروجاً عن الحدّين أيّ حدّ التعطيل وحدّ التشبيه.

ويستفاد من الروايات، بأنّ المراد من التعطيل هو النفى. وجاء فى رواية: انّ هناک فى التوحيد

١. بحارالانوار ج ٧٨ ص ٣٧٩.
٢. بحارالانوار ج ٥٢ ص ١٤٦.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-10-31]

ثلاثة مذاهب:

«إنَّ لِلنّاسِ فِي التَّوحيدِ ثَلاثَةَ مَذاهِبَ: مَذهَبُ إثباتٍ بِتَشبيهٍ، و مَذهَبُ النَّفْيِ، و مَذهَبُ إثباتٍ بِلا تَشبيهٍ: فمَذهَبُ الإثباتِ بِتَشبيهٍ...»[1]

إذن، ففى بعض الأوقات، تطرح المعرفة و في بعض الأوقات نفى التعطيل أو الإثبات.

يقال فى الإثبات: أنّ جميع الموجودات والكائنات تظهر حاجة العالم إلى معتمد و مثبت أي وجود الله تعالى. لهذه الموجودات فاعل و مؤثر ليست بذاتها. أي انّ جميع الموجودات مثبتة حقيقة قائمة بذاتها. عندما نقول مُخاطِبين الله: «اَللّهُمَّ عَرِّفْنى نَفْسَكَ»، بناءً على هذا الدعاء فالانسان لا يطلب اثبات وجود الله، لأنّ الداعي ليس أهل التعطيل حتى يطلب من الله الإثبات، بل هو مقرّ بوجود الله ويقرّ به و يطلب المعرفة منه بعد قبوله. و هنا تطرح قضية غير إثبات وجود الله والّا طلب إثبات الله من الله للذى لا يقبل الله وهذا خطأ.

إذا قيل انّ ما يطلبه هو الإستمرار و مواصلة الإثبات، نقول: انّ هذا لا يتّسق مع تعبير «اَللّهُمَّ عَرِّفْنى نَفْسَكَ» و من ثَمّ يعلم أنّه بعد الإثبات تطرح قضايا وهي بعناية الله الخاصّة و ليست بمعنى وحدة الخالق و الخلق، بل هي عناية خاصّة، و أبعد من الاثبات والاقرار، و هذه العناية هى من عند الله ولا كيفيّة لها.

معرفة الله هى فعل الله و دور النبى و الامام فيها

جاء فى بعض الاحاديث، بأن معرفة الله هى فعل الله، و فى بعض الروايات، أشير إلى وساطة الائمّة للوصول إلى معرفة الله: «بِنا عُرِفَ الله». فالجمع بين هذه الاحاديث هو إجمال و تفصيل. أي انّ المعرفة الاجماليّة هي من جانب الحقّ تعالى، و المعرفة التفصيليّة هى كلام الأئمّة المعصومين، الذين استرشدوا بارشاد الانبياء و الائمّة و ابلاغ برامج التهذيب و التزكية إلى معرفة الله بالله، و هو نفس المرحلة النهائيّة للمعرفة.

لا تعارض بين الادراک من حيث معرفة الله، لأنّ معرفة الله يكون بالله أو بواسطة أولياء الله. نحن نقول: «اَللّهُمَّ عَرِّفْنى نَفْسَكَ»، و من جانب آخر نقول: «بِنا عُرِفَ الله». ووجه الجمع بين هاتين العبارتين برأينا: هو أنّ معرفة الله بالله تعنى: «اَللّهُمَّ عَرِّفْنى نَفْسَكَ» هى المعرفة الاجماليّة، و

١. البرهان فى تفسير القرآن ج ٢ ص ٤٠٤.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-10-31]

جميع الناس مفطورون على الفطرة التوحيديّة، لكن معرفة بسط و تفصيل هذه المعرفة، يتمّ بأقوال المعصومين. فلذلک يقولون «بِنا عُرِفَ الله». أي انّ بسط المعرفة حول صفات البارى عزّ وجلّ يتمّ بواسطة هؤلاء العظام.

المصادر

١. **بحار الانوار(ط – بيروت)**؛ المجلسى؛ العلامه محمد باقر بن محمد تقى؛ ١٠٣٧ – ١١١٠ ق؛ تحقيق؛ جمع من الباحثين؛ ١١٠ مجلدات؛ الناشر؛ دار إحياء التراث العربى؛ بيروت؛ ١٤٠٣هجرية.

٢. **البرهان فى تفسير القرآن**؛ البحرانى؛ سيدهاشم؛ ١٠٥٠ – ١١٠٧ ق؛ ٥ مجلدات؛ قم؛ مؤسسة اسماعيليان.

٣. **عيون اخبارالرضا (عيون الاخبار)**؛ الشيخ الصدوق؛ محمد بن على بن حسين بن بابويه؛ ٣١١ –٣٨١ ق؛ لبنان؛ بيروت؛ مؤسسة الاعلمى للمطبوعات؛ ١٤٠٤ ق.

٤. **كتاب التوحيد**؛ ابن بابويه؛ محمد بن على؛ طبع هاشم حسينى طهرانى؛ قم؛ ١٣٥٧ ش.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-10-31]